رسالة في الرد على
شبه تجري على ألسنة الكثير من الناس

راجعها وهذبها فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر البراك

إعداد

سعد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الموفق من شاء إلى الطريق المستقيم، والصلاة والسلام على خير البشر، الذي لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها عنه.

أما بعد:

فإن الإيمان بالله لا يتم إلا بالقيام بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ولا تتم الطاعة إلا بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى، وقد أمر الله المؤمنين بهذه الصفات الموصلة إلى الفلاح بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[آل عمران: ٢٠٠]**.

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم[(١)] وكذلك قال غير واحد من علماء السلف.اهـ.

وقد ابتلي المسلمون بفتن كثيرة يقوى بعضها بعضًا، ولا تزال في زيادة مستمرة، وبسرعة هائلة، يزينها الأعداء ومرضى القلوب بشبه كثيرة، منها ما يلي:

---

(١) يعني المنافقين.

الشبهة الأولى

قولهم: الحاجة تدعو إلى هذا الأمر أو الضـــرورة، ويســـتدلون بقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّـــهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائـــدة: ٣] وقوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَا اضْـــطُرِرْتُمْ إِلَيْـــهِ**﴾ **[الأنعام: ١١٩]** وغيرهما.

الجواب: نعم، يستدل بهما ولكن بالشروط المذكورة فقـــال: ﴿**فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**﴾ في آية الأنعام ذكر – تعالى – أنه فصل الحرام، وأن الكثير يضلون بأهوائهم بغـــير علـــم، وسمـــاهم معتدين.

فلا بد من تمييز المسألة أهي ضرورة حقًا أم لا؟ وليس لكـــل إنسان تمييز كل مسألة وإنما للعلماء الذين أنار الله بصيرتهم، وشرح صدورهم للإسلام، العالمين بالأصول والفروع.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: «لا بد أن يكون مع الإنســـان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعـــدل، ثم يعـــرف الجزئيات كيف، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم».اهـ[(١)].

وقال – رحمه الله–: في الأصول الثلاثة، التي يعتمد عليها أهل السنة والجماعة في العلم والدين، وهي: الكتاب والسنة، والإجماع:

---

(١) من مجموع فتاوى ابن تيمية صفحة ٢٠٣/ج/١٩.

«وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس، من أقـــوال وأعمال باطنه أو ظاهرة مما له تعلق بالدين»[١].اهـ.

فعلى المسلم أن يتثبت في أمور دينه، ويحذر مـــن الوقـــوع في الشبهات، فقد يقصد الأعداء بإيراد الشبهة تلبـــيس الحـــق علـــى المسلمين، لأجل إفساد دينهم حسدًا عليه، أو لأغراض أخرى.

وتتجلى شبهة دعوى الضرورة في كثير من المسائل عند كـــثير من الناس، في حالتين لهم:

الأولى: الحالة النفسية، فثقل الطاعة على نفوسهم، وعد الصبر عليها، واستبعاد قبول الناس لها، ويأسهم الشديد في ذلك، والجـــبن والضعف المخيم عليهم عن إقامتها، توقعهم في هذه الشبهة.

وميل النفس إلى ما تهواه، ومحبتها للراحـــة، ســـبب لطلـــب الترخيص والوقوع في المحرمات، ويروى في هذا حديث مرسل عن النبي ﷺ: «**إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، والعقل الكامل عند حلول الشهوات**»[٢].

الثانية: حالتهم الفعلية، فإذا تبينت المسألة التي وقعـــوا فيهـــا، واتضحت بأنها ليست ضرورة كما زعموا، فلا تجدهم يرجعـــون

(١) من العقيدة الواسطية في صفة أهل السنة والجماعة، ومجموع فتاوى ابن تيمية صفحة ١٥٧/ج/٣.

(٢) ذكره شيخ الإسلام – رحمه الله – في مجموع الفتاوى /ج/٢٠/٥٨/، وج/٢٩/٤٤.

عنها، بل هم في فرح وسرور بما يجري، غير متألمين ولا حـــزنين، وقد يسوؤهم ظهور الحق والتمسك به!

ولا غرابة فإن غالب هؤلاء الطالبين للترخصات: المعصية ظاهرة في وجوههم وأعمالهم وأخلاقهم، فحالهم تدل على أن طلبهم الترخص في مسألة ليس طلبًا للحق، وهم مـــع ذلـــك ليسوا من أهل العلم وإن ادعى بعضهم ذلك فأمرهم دائر بين الجهل والهوى.

❋ ❋ ❋ ❋

الشبهة الثانية

قولهم: الوقت اختلف، والحالة تغيرت، فزمننا غير زمن الرسول ﷺ وصحابته، يشيرون إلى ما حصل من الانقلاب الصناعي، وتقارب الأسواق، واختلاط البشر، وتشعب شؤون الحياة.

والجواب عن هذه الشبهة:

أنه وإن اختلف الوقت، وتغيرت الحال، فالشريعة الخالدة شاملة لجميع شؤون الخلق، في كل زمان ومكان، وفي كل حال من الأحوال إلى قيام الساعة، ارتضاها لنا الرب — جل وعلا — العالم بأن الوقت سيختلف، وأن الحال ستتغير، فهو عالم بما كان وما سيكون قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

فالقائل بهذه الشبهة لقصد إبطال حكم شرعي، طاعن في الشريعة، متنقص لعلم الرب، غير مؤمن بقول الرسول ﷺ: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**» أو جاهل ما في الكتاب والسنة مما جرى وما سيجري من الوقائع والحوادث؛ أو متبع لهواه، وقد جاء التحذير في ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [المائدة: ٤٩].

* * * *

الشبهة الثالثة

وصفهم التمسك بالحق: جمودًا، وتأخرًا، وتشديدًا وتعقيدًا، وقد يصرح التارك للحق بقوله: «إنهم يعيبوننا» مع اعترافه به.

والجواب: أن هذه الكلمات من وساوس شياطين الإنس وشياطين الجن، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ **[الأنعام: ١١٢]**.

فالجمود ينطبق على من أصر على المعصية، واستمر في إتباع هواه، والتأخر الحقيقي لمن تخلف عن طاعة الله ورسوله ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين.

أما التمسك بالشريعة، فحزم وقوة لا تشديدًا، فالشريعة جاءت بما يطاق، وإذا عرف الإنسان ثواب الأعمال الخيرة هانت عليه المشقة؛ وخوف بعض الناس ونفورهم من أهل الحق هيبة وعزة أودعها الله في المتمسك لا تنفيرًا منهم.

وأما وصفهم التمسك تعقيدًا، فإن كان المراد التوثيق والاعتقاد الجازم فصحيح، وإن أرادوا الوساوس التي تحدث القلق عند الإنسان والضيق فغير صحيح، لأن الآمر بالطاعة غير موسوس، وكذلك الممتثل، وما يحصل في نفسه من قلق هو بغض لأعداء الله، وضيق نفسه من انتهاك حرماته، وهذه علامة صدقه في إيمانه، وبذكر الله تطمئن القلوب.

وما في نفس المؤمن من القيام بالطاعة والتمسك بها فتمييز وخير، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالتمسك بالشريعة، وأمته أسوته في ذلك، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية: ١٨] وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**».

فعلى المسلم أن يسأل عن الحق أهل العلم، ولا يكن همه ما تهواه نفسه، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣] وقال ﷺ: «**ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال**».

أما عيب الناس للمؤمنين، والسخرية بهم، فهو سنة الكافرين مع أنبياء الله وأوليائه، ابتلاء للبشر حتى الرسل، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام: ١٠] فإذا صبر المؤمن فله الثواب، وعلى الساخر العقاب، علمًا بأن هناك من يثني على المؤمن في السماء وفي الأرض، كما أن العاصي يذم، فهل من مدكر؟

فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل سنة الله، ليظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، قال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**

أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] قال ابن كثير – رحمه الله -: فكل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى، فماله دواء إلا الصبر في الله والاستعانة بالله والرجوع إلى الله.

* * * *

الشبهة الرابعة

قولهم: الآمر بالمعروف لم يعمل بما يأمرنا به، أو عنده من لا يعمل به، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾ **[البقرة: ٤٤]** ويقذفونه بقولهم: «لا تغتر بالمظاهر».

والجواب: أن الحق يقبل من كل من جاء به، أما هذه الآية ففيها التوبيخ لمن يأمر بالمعروف ولا يعمل به، وليس فيها دليل على جواز ترك الطاعة المأمور بها، فعليك أن تنصحه وتعينه على نفسه ومن عنده، فالمؤمن مرآة أخيه.

«**الدين النصيحة**» يكررها الرسول ﷺ، قال الصحابة – رضي الله عنهم –: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وذم الله بني إسرائيل حيث لم يتناهوا عن منكر فعلوه قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ **[المائدة]**.

ومن أشد ما يبتلى به المسلم أن يقال فيه: إن ظاهره يخالف باطنه، فهذا من الهمز واللمز، ومن لحن القول نسأل الله العافية، فالقائل لهذه الكلمة مظهر لنفاقه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ **[محمد: ٣٠]** وعلى فرض صحة ما يقوله في أخيه المسلم، فليس نصحًا، وإنما لقصد التشنيع به وتحطيمه، حتى يسكت عن الحق لكراهته له، ومن الجدال بالباطل، كما قال الله فيهم:

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] فالله المستعان: **﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]**.

ومن البلايا بسبب شبه أهل الأهواء: الافتتان بسبب تعلم وتعليم اللغة الإنجليزية، حتى كأن الحياة لا تقوم إلا بها، ولا يحصل لأمة رقي ولا تقدم ولا نهوض إلا بأن يتعلمها جميعهم، الصغار والكبار، الرجال والنساء.

زاعمين: أن الحاجة ماسة إليها، وتعلمها ضروري، وأن ذلك لا ينافي الشريعة، مستدلين بأمر النبي ﷺ لزيد ابن ثابت، بتعلم لغة اليهود العبرانية، وبالحديث الذي يجرى على ألسنة الناس: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم».

والجواب: أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، فالحديث لا أصل له، ولا يصح معناه بإطلاقه، والضرورة تقدر بقدرها، وتعريب العلوم ممكن، ولغة اليهود لم يتعلمها في عهد النبي ﷺ إلا زيد بن ثابت، و لم يأمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعلموها.

وعلى هذا، فنقول: إن تعليم العلوم باللغة العربية أيسر، كما هو مجرب في بعض الدول، فإن اللغة وسيلة، والمقصود هو المعاني، لا الألفاظ.

وأما أمر الرسول ﷺ لزيد بن ثابت، بأن يتعلم لغة اليهود، فليس فيه دليل على جواز تعلمها وتعليمها لعموم المسلمين، بل يفهم منه جواز تعلمها بقدر الحاجة، كالترجمة عند الحاكم ونحوه، فكيف يستدل بهذا على جواز تعلمها وتعليمها لعموم الناس؟!

هذا: وتعليم اللغة الإنجليزية يتضمن مفاسد كثيرة منها:

١- الإعجاب بأهلها.

٢- التبعية لأمم الغرب الكافرة، والهزيمة النفسية، والفكرية أمام حضارتهم، وهذه التبعية مطلب لدول الاستعمار، ولهذا يعملون على نشر لغتهم في البلاد التي يستولون عليها، أو يكون لهم عليها سبيل.

ومن المفاسد المترتبة على تعليم اللغة الإنجليزية، والحرص على تعلمها: مجالسة الكفار والكافرات في بلادهم، وفي بيوتهم لتلقي اللغة من أفواه أهلها، وما ينشأ عن ذلك من الاندماج بهم، ومعاشرة نسائهم، وذهاب خلق الطهر والعفاف، أو ضعفه، والإعجاب بسيرتهم، وتكون المصيبة أعظم إذا كان ذلك من طالبة مسلمة.

وتحريم ذلك لا يرتاب فيه من له بصيرة في الدين، بل ولا يرضاه من له مسكة من عقل.

فتبين مما تقدم: أن تعليم اللغة الإنجليزية لجميع الطلاب والطالبات والإلزام بذلك محرم من وجوه:

١- التبعية للكفار.

٢- موالاة الكفار نتيجة الإعجاب بهم.

٣- الزهد في تعلم اللغة العربية التي هي لغة القرآن، ولغة علوم الإسلام ومزاحمتها.

٤- إضاعة أوقات طويلة، وأموال طائلة، وطاقات، وملكات ثمينة، من غير مردود يتكافأ مع البذل الكبير.

٥- المفاسد الخلقية، والعقدية، والسلوكية، المترتبة على تعلم هذه اللغة بسبب ما تضمنه مراجع تلك اللغة ومقرراتها، ولا سيما مع الابتعاث إلى ديار الكفار.

هذا ما تيسر ذكره إزاء هذه الشبهات، ونرجوا الله أن يبصرنا بمواطن الضعف فينا، ويعيننا على تقويمها، كما نرجوه – تعالى – أن يفقهنا في ديننا وأن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، كما نسأله – سبحانه وتعالى – أن يوفق ولاة أمر المسلمين إلى ما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

* * * *

الفهرس